بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر

المقصد السادس

فيما ورد في آي التنزيل من تعظيم قدره صلى الله وسلم عليه

اعلم اطلعني الله وإياك على أسرار التنزيل ومنحنا بلطفه تبصرة تهدينا إلى سواء السبيل أنه لا سبيل لنا أن نستوعب الآيات الدالة على ذلك وما فيها من التصريح والإشارة إلى علو محله الرفيع ومرتبته ووجوب المبالغة في حفظ الأدب معه وكذلك الآيات التي فيها ثناؤه تعالى عليه وإظهار عظيم شأنه لديه وقسمه تعالى بحياته وندائه بالرسول والنبي ولم يناد باسمه بخلاف غيره من الأنبياء ناداهم بأسمائهم إلى غير ذلك مما يشير إلى إنافة قدره العلي عنده وأنه لا مجد يساوي مجده ومن تأمل القرآن العظيم وجده طافحا بتعظيم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ويرحم الله ابن خطيب الأندلس حيث قال

مدحتك آيات الكتاب فما عسى ● يثني على علياك نظم مديح ●

● وإذا كتاب الله أثنى مفصحا ● كان القصور قصار كل فصيح ●

وهذا المقصد يرحمك الله يشتمل على عشرة أنواع **النوع الأول** في آيات تتضمن تعظيم قدره ورفعة ذكره وجليل رتبته وعلو درجته على الأنبياء وتشريف منزلته قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله قال المفسرون يعني [illegible] عليه السلام كلمه بلا واسطة وليس نصا في اختصاص موسى بالكلام فقد [illegible] أنه تعالى كلم نبينا أيضا كما مر **فإن قلت** إنه عليه السلام [illegible] ربه وقام به هذا الوصف فلم لم يشتق له من الكلام اسم الكليم كما اشتق منه لموسى [illegible] أجيب بأن اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح الاشتقاق كاسم الفاعل فيطرد المعنى لأن كل من قام به ذلك الوصف اشتق له منه اسم وجوبا وقد يكون للترجيح فقط كالكليم والقارورة فلا يطرد وحينئذ فلا يلزم في كل من قام به ذلك الوصف أن يشتق له منه اسم كما حققه القاضي عضد الدين وهذا ملخص [illegible] وتحرير كما قاله المولى سعد الدين التفتازاني انتهى وقوله ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفعه الله تعالى من ثلاثة أوجه بالذات في

المعراج

المعراج وبالسيادة على جميع البشر وبالمعجزات لأنه عليه السلام أوتي من المعجزات ما لم يؤته نبي قبله قال الزمخشري وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس انتهى وقد بينت هذه الآية وكذا قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض أن مراتب الرسل والأنبياء متفاوتة خلافا للمعتزلة القائلين بأنه لا فضل لبعضهم على بعض في هذا [illegible] الأنبياء رد عليهم وقال قوم آدم أفضل لحق الأبوة وتوقف بعضهم فقال السكوت أفضل والمعتمد الذي عليه جماهير السلف والخلف أن الرسل أفضل من الأنبياء وكذلك الرسل بعضهم أفضل من بعض بشهادة هاتين الآيتين وغيرهما **قال** بعض أهل العلم فيما حكاه القاضي عياض والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة أحوال أن تكون آياته ومعجزاته أظهر وأشهر أو تكون أمته أزكى وأكثر أو يكون في ذاته أفضل وأظهر وفضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من ألطافه وتحف ولايته واختصاصه انتهى فلا مرية أن آيات نبينا صلى الله عليه وسلم ومعجزاته أظهر وأبهر وأكثر وأبقى وأقوى ومنصبه أعلى ودولته أعظم وأوفر وذاته أفضل وأطهر وخصوصياته على جميع الأنبياء أشهر من أن تذكر فدرجته أرفع من درجات جميع المرسلين وذاته أزكى وأفضل من سائر المخلوقين وتأمل حديث الشفاعة في المحشر وانتهاءها إليه وانفراده هناك بالسودد كما قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة رواه ابن ماجه وفي حديث أنس عند الترمذي أنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر لكن هذا لا يدل على كونه أفضل من آدم بل من أولاده فالاستدلال بذلك على مطلق أفضليته عليه الصلاة والسلام على الأنبياء كلهم ضعيف واستدل الشيخ سعد الدين التفتازاني لمطلق أفضليته عليه السلام بقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس قال لأنه لا شك أن خيرية الأمة بحسب كمالهم في الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه واستدل له الفخر الرازي في المعالم بأنه تعالى وصف الأنبياء بالأوصاف الحميدة ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فأمره أن يقتدي بأثرهم فيكون إتيانه به واجبا

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)